القمّة

■ د. جهاد نعمان



د. جهاد نعمان

ضجّت وسائل الإعلام، وذاع الخبر: فلان الخطير الشأن، وسامي المقام، صاحب الألقاب العلميّة والسياسيّة الضخمة، وذو الأناقة المميّزة، والشهرة المدوّية، سيدلي بحديث «تلفزيونيّ» مهمّ، في ساعة كذا، من يوم كذا، فترقّبوه!

وفي الأجل المضروب، خفقت القلوب، وحول «التلفزيونات» المتنامية كالفطر في البراري الموحشة، تزاحمت الركب، واشرأبّت الأعناق، وتسمّرت العيون في الشاشة، وما عتّم أن لاح الخطيب، كأنّه بدر تمام، في كبد السماء، واستهل كلامه، بجملة تضمّنت القُمّة المضمومة القاف، وهو غافل عن فحواها، أي المزلة!

ورحم الله براعة الاستهلال، إذ هي في أسوأ حال، لتضمّنها متفجّرة، لا تسيل الدموع، ولا تدك الحصون، ولا تبعثر الأشلاء في كل مهبّ ريح، إنّها أفدح، إنّها قنبلة جرثوميّة، تبعث، شعوريًا، برائحة كريهة، من القمامة التي اعتدناها اليوم، التي ولد (تضعيف اللام) اختمارُها الحشرات فتطايرت في شتّى الأنحاء تسابق الرائحة الكريهة، التي تُزكم الأنوف، وتُحرق العيون، وتحمل النفوس على الغثيان.

ولو كسر الخطيب قافَ قمّته، لكان «كسر الشرّ» كما يُقال في العاميّة. ولكان أصاب الهدف المرجوّ وهو الذروة.

وكم مرة، أساؤوا استعمال هذه اللفظة، في قِمَم عربيّة وغيرها استمرّت على مدى يكاد يوازي طوله طول سور الصين التاريخي.

أيّها الخطباء، أيّها المذيعون، اهربوا من القمّة المضمومة قافُها، إنّها أشبه بذَنَب العقرب.